

إعادة تعريف الصحافة:

قراءة نقدية لكتاب "ماهي دراسات الصحافة الرقمية؟" في ضوء نظريات الاتصال
 Redefining Journalism in Light of Communication Theories: a Critical
 Review of "What Is Digital Journalism Studies"?

*
فيصل العنزي¹ أستاذ الإعلام المساعد في قسم الإعلام جامعة الملك سعود (السعودية)، falanazi3@ksu.edu.sa

تاريخ القبول: 2025/12/28

تاريخ المراجعة: 2025/10/27

تاريخ الإرسال: 2025/08/06

ملخص:

تتناول هذه المراجعة بالنقد والتحليل كتاب "ماهي دراسات الصحافة الرقمية؟" (What Is Digital Journalism Studies)، الصادر عن دار النشر المرموقة Routledge عام 2021 في 186 صفحة. ويعد هذا الكتاب، الذي اشترك في تأليفه الخبيران البارزان ستين ستينسن (Steen Steensen) وأوسكار ويستلوند (Oscar Westlund)، مرجعاً علمياً أساسياً للباحثين المتخصصين في حقل الصحافة الرقمية، حيث تكمن أهميته في كونه لا يقتصر على دراسة الصحافة التي تُنتج وتُنتشر رقمياً، بل يؤسس لمجال علمي متكامل مبني على تساؤلات تعيد النظر في المسلّمات التقليدية حول الإعلام والصحافة. وتقدم هذه المراجعة قراءة للكتاب في ضوء نظريات الاتصال، إذ يمكن اعتباره انعكاساً نقدياً لحالة هذه النظريات وتطورها في العصر الرقمي؛ فالتحولات التي يناقشها، مثل صعود المنصات وتأثير الخوارزميات، يمكن فهمها بعمق أكبر عند ربطها بنظريات كلاسيكية وحديثة كالتحتمية التكنولوجية، وحارس البوابة في شكلها الخوارزمي الجديد، والاستخدامات والإشباع، والنظرية البنائية لوسائل الإعلام. الكلمات المفتاحية: الإعلام الرقمي؛ تحليل الخطاب؛ الصحافة الرقمية؛ مراجعة كتاب؛ نظريات الاتصال.

Abstract:

This review critically analyzes the book "What Is Digital Journalism Studies?", published by the prestigious publisher Routledge in 2021 with 186 pages. The book, co-authored by the two prominent experts in this field, Steen Steensen and Oscar Westlund, is considered a fundamental scientific reference for researchers specializing in the field of digital journalism. Its importance lies in the fact that it not only studies journalism that is produced and published digitally but also establishes an integrated scientific field built on questions that reconsider the traditional assumptions about media and journalism. This review presents a reading of the book in light of communication theories, as it can be considered a critical reflection of the state of these theories and their evolution in the digital age. The transformations it discusses, such as the rise of platforms and the impact of algorithms, can be understood more deeply when linked to classical and modern theories such as Technological Determinism, the new algorithmic form of Gatekeeping, Uses and Gratifications, and the Constructivist Theory of media.

Keywords: Book Review; Communication Theories; Digital Journalism; Digital Media; Discourse Analysis.

* فيصل مؤنس العنزي

1 - أولاً: نبذة مختصرة عن الكتاب ومؤلفيه

يعد كتاب "ماهي دراسات الصحافة الرقمية؟" (What Is Digital Journalism ?) (Studies)، الذي اشترك في تأليفه الخبران البارزان في هذا المجال، البروفيسور ستين ستينسن (Steen Steensen) والدكتور أوسكار ويستلوند (Oscar Westlund)، مرجعاً علمياً هاماً للباحثين وطلاب الدراسات العليا المهتمين بهذا الحقل المعرفي الجديد، إذ تكمن الأهمية المحورية للكتاب في كونه لا يقتصر على دراسة الصحافة التي تُنتج وتُنشر رقمياً فحسب، بل يؤسس لمجال علمي متكامل مبني على تساؤلات تعيد النظر في المسلمات التقليدية حول الإعلام والصحافة والمجال العام.

وما يزيد من قيمة الكتاب هو الخبرة الأكاديمية والعملية العميقة لمؤلفيه؛ فالبروفيسور ستين ستينسن هو أستاذ الصحافة والرئيس السابق لقسم الصحافة والدراسات الإعلامية في جامعة أوسلو متروبوليتان (2016-2020)، ويقود حالياً مشروعاً بحثياً دولياً في نقد المصادر والتضليل الإعلامي (2020-2024)، وهو أيضاً محرر وله خلفية كصحفي ممارس. أما الدكتور أوسكار ويستلوند، فهو أستاذ بنفس القسم، ويقود مجموعة أوسلوميت لأبحاث الصحافة الرقمية، ويشغل منصب رئيس تحرير مجلة "الصحافة الرقمية" (Digital Journalism) المرموقة، ويعمل حالياً على مشروع بحثي متخصص في إنتاج الأخبار الرقمية بتمويل من المؤسسة السويدية للعلوم الإنسانية والاجتماعية. هذه الخبرات المزودة، الأكاديمية والمهنية، تمنح الكتاب مصداقية وعمقاً يجعله دليلاً لا غنى عنه في هذا المجال.

2- ثانياً: هدف الكتاب

يسعى المؤلفان من خلال هذا الكتاب إلى تحقيق هدف طموح، يتمثل في تقديم رؤية بانورامية شاملة لحقل دراسات الصحافة الرقمية، لا تكتفي بتشخيص الواقع الراهن فحسب، بل تربطه بجذوره التاريخية وتستشرف آفاقه المستقبلية. وتتجسد هذه الشمولية في مصطلحات العنوان نفسه؛ فكلمة "دراسات" تشير إلى أن التحليل يتجاوز التطبيقات العملية ليشمل الأبعاد النظرية والمنهجية والمعارية. أما كلمة "رقمي"، فتؤكد أن الكتاب لا يتعامل مع التقنية كأداة منفصلة، بل كقوة محورية أعادت تشكيل بنية الصحافة وأدوارها ونظرياتها، وطورتها بما يتناسب مع البيئة الإعلامية المعاصرة.

3 - ثالثاً: بنية الكتاب ومحتوياته

يتألف الكتاب من مقدمة وثمانية فصول رئيسية، بالإضافة إلى قائمة شاملة بالمراجع، حيث يقدم المؤلفان في المقدمة إطاراً عاماً وواضحاً لمحتويات الكتاب، ثم ينتقلان عبر الفصول لمعالجة الأبعاد المختلفة لدراسات الصحافة الرقمية. تبدأ الفصول بتأسيس المفاهيم والتعريفات (الفصل الثاني)، ثم تنتقل لتحليل

التقنيات والمنصات التي تشكل البيئة الرقمية (الفصلان الثالث والرابع). بعد ذلك، يتعمق الكتاب في الأبعاد النظرية عبر مناقشة النظريات والافتراضات المعيارية التي تحكم الحقل (الفصلان الخامس والسادس)، ليختتم بالجانب العملي المتمثل في المنهجيات المستخدمة في البحث، ورؤية استشرافية لمستقبل دراسات الصحافة الرقمية (الفصلان السابع والثامن)، وما يميز هذا الكتاب اعتماده على قاعدة مراجع حديثة ومتخصصة، مما يعكس إحاطة المؤلفين بآخر التطورات في هذا المجال.

4 - رابعاً: عرض وتحليل فصول الكتاب

قبل البدء في التحليل التفصيلي، يستعرض الباحث في هذا الجزء عناوين الفصول الثمانية التي يتألف منها الكتاب، وذلك لتقديم صورة شاملة عن بنيته المنطقية وتدرج موضوعاته:

- الفصل الأول: مقدمة حول دراسات الصحافة الرقمية.
 - الفصل الثاني: التعاريف والمفاهيم والنقاشات لتقييم دراسات الصحافة الرقمية.
 - الفصل الثالث: التقنيات والتحليل الخاص بدراسات الصحافة الرقمية.
 - الفصل الرابع: المنصات والتوزيع والأجهزة في الصحافة الرقمية.
 - الفصل الخامس: النظريات: كيف نفهم الصحافة الرقمية؟
 - الفصل السادس: الافتراضات: التركيز على المعيارية في دراسات الصحافة الرقمية.
 - الفصل السابع: المنهجية: كيف يتم بحث الصحافة الرقمية؟
 - الفصل الثامن: مستقبل دراسات الصحافة الرقمية.
- وفيما يلي، سيقوم الباحث بتقديم قراءة تحليلية لأهم الأفكار التي وردت في هذه الفصول.

4-1- الفصل الأول: تأسيس حقل معرفي جديد

ينطلق المؤلفان في الفصل الأول من فرضية أساسية مفادها أن "دراسات الصحافة الرقمية" هي أكثر بكثير من مجرد دراسة الصحافة التي تُنتج وتُوزع رقمياً. فهذا الحقل المعرفي الجديد، كما يجادلان، مبني على تساؤلات جذرية تُعيد النظر في كل المسلّمات التقليدية حول الإعلام والصحافة والمجال العام. ولإثبات وجهة نظرهما، يطرح المؤلفان مجموعة من الأسئلة المحورية التي لم تعد إجاباتها بديهية، مثل: ما هي المؤسسة الإعلامية؟ من المسؤول عما يُنشر؟ ما هي الحدود الفاصلة بين منتجي المحتوى وموزعيه ومستهلكيه؟ والأهم من ذلك: من هو الصحفي، وما هي الصحافة في هذا النظام البيئي المعقد للإعلام في القرن الحادي والعشرين؟ ويجادل المؤلفان في هذا السياق بأن القيمة الحقيقية لشركات المنصات العالمية مثل جوجل (Google)، وأمازون (Amazon)، وفيسبوك (Facebook)، والأسبوية مثل وي تشات (WeChat) وويبو (Weibo)، لم تعد تكمن في المحتوى الذي تقدمه، بل في قدرتها المتطورة على حصاد وتحليل كميات

هائلة من بيانات المستخدمين والاستفادة منها، حيث أدت هذه الأساليب إلى سلبات مباشرة على الصحافة، تمثلت في هجرة المعلنين إلى هذه المنصات، وزيادة التركيز على تحليل بيانات المستخدمين لتوجيه المحتوى، وتغيير أنماط توزيع الأخبار.

ويؤكد المؤلفان أن هذه التحولات جعلت الصحافة أكثر عرضة للتلاعب وفقدان الثقة، خاصة مع تفاقم مشاكل التضليل الإعلامي و"الأخبار المزيفة"، ويرجعان السبب الجذري لذلك إلى ما يُعرف بـ"فصل الأخبار عن الصحافة" الذي بدأ مع انتشار الإنترنت في التسعينيات، حيث فقدت المؤسسات الصحفية احتكارها لإنتاج وتوزيع الأخبار، وأصبح بإمكان أي شخص إنشاء المحتوى ونشره، مما أدى إلى طمس الحدود بين المنتج والمستهلك. وبهذا، يؤسس الفصل الأول للكتاب كعمل لا يهدف إلى تقديم إجابات جاهزة، بل إلى استكشاف طبيعة هذه التساؤلات الجديدة التي تشكل هوية الصحافة المعاصرة.

4-2- الفصل الثاني - تحديد معالم الحقل الدراسي:

في هذا الفصل، يؤكد المؤلفان أن "دراسات الصحافة الرقمية" تدخل في العديد من المجالات، ولكنها تنبثق بشكل أساسي من "الدراسات الصحفية"، والتي يمكن وضعها ضمن حقل "الاتصال" الأشمل. والأهم من ذلك، يجادلان بأن العلماء اقترحوا التعامل مع دراسات الصحافة الرقمية كميدان قائم بذاته، لا يعتمد فقط على صلاته الراسخة بتخصصات مثل الاتصال السياسي وعلم الاجتماع والاقتصاد، بل أيضاً على تقاطعه الضروري مع المجالات ذات التركيز الرقمي، كعلوم الحاسب وعلم المعلومات.

ويستعرض المؤلفان العديد من الآراء والحجج حول كيفية التفكير في التكنولوجيا الرقمية بطرق تتجاوز النظرة السطحية التي تعتبرها مجرد "أدوات وأنظمة". وبدلاً من ذلك، يدعون إلى فهم التكنولوجيا كجزء لا يتجزأ من مجموعة أوسع من "الديناميكيات الاجتماعية والتقنية" المعقدة، والتي لعبت دوراً هاماً في تقديم قواعد وعمليات جديدة لم تكن متوقعة في البيئة الإعلامية الرقمية المعاصرة.

4-3- الفصل الثالث - التقنيات والتحليل في الصحافة الرقمية:

يركز هذا الفصل على العلاقة المتنامية بين الصحافة والبيانات، مشيراً إلى أن "صحافة البيانات" أصبحت مجالاً بحثياً رئيسياً في دراسات الصحافة الرقمية. ويحدد المؤلفان ثلاثة موضوعات بحثية محورية تندرج تحت هذا المفهوم، هي:

الموضوع الأول هو صحافة البيانات (Data Journalism)، حيث تعمل ضمن تقليد معرفي يلجأ إليه الصحفيون لاستخدام البيانات كمصدر لنشر أخبار عن قضايا معينة. ورغم أنه غالباً ما يُنظر إليها على أنها طريقة موضوعية للوصول إلى المعلومات، إلا أن المؤلفين ينبهان إلى أنها في الحقيقة لا تخلو من التحيزات. أما الموضوع الثاني فهو التحليلات والمقاييس (Analytics and Metrics)، ويشير إلى البنى

التحتية والأدوات التكنولوجية لجمع وتحليل بيانات الجمهور وسلوكياتهم، مثل عدد مشاهدات الصفحات والوقت المستغرق في القراءة، إذ تُستخدم هذه المقاييس في العمليات التحريرية لاتخاذ قرارات حول الموضوعات التي يفضلها الجمهور لمنحها الأولوية. ولهذا، يؤكد المؤلفان أن التحليلات والمقاييس اكتسبت مكانة بارزة في غرف الأخبار وغيرت من روتين العمل اليومي للعديد من الصحفيين. وبشأن الموضوع الثالث، الخوارزميات (Algorithms)، يشير المؤلفان إلى أن الذكاء الاصطناعي أصبح يساعد المراسلين في معالجة كميات كبيرة من البيانات والكشف عن خيوط القصص الاستقصائية. كما يمكن لناشري الأخبار والصحفيين اليوم الاستفادة من الذكاء الاصطناعي عبر الأدوات المتقدمة لتحليل البيانات المفتوحة، واستخدام الخوارزميات لتحديد أولويات توزيع الأخبار وتوجيهها عبر مختلف المنصات والقنوات.

4-4- الفصل الرابع- المنصات ودورها في إعادة تشكيل توزيع الأخبار:

يتناول هذا الفصل التحول الجذري في توزيع الأخبار، حيث يوضح المؤلفان كيف فقدت وسائل الإعلام التقليدية سيطرتها على عملية التوزيع بين عامي 2007 و 2008، وقد أدى هذا التحول إلى بزوغ ما يسمى بـ "صحافة المنصة" (Platform Journalism)، حيث أصبح الجمهور يعتمد بشكل متزايد على منصات وسيطة مثل فيسبوك ومنصة إكس التي لا تملكها المؤسسات الإعلامية نفسها، ويشير المؤلفان إلى أن هذا الواقع الجديد دفع ناشري الأخبار والصحفيين إلى إعادة تشكيل ممارساتهم لتطوير وجودهم على وسائل التواصل الاجتماعي. كما يسلطان الضوء على أن الباحثين الأكاديميين ركزوا بشكل كبير على منصة إكس (تويتر سابقاً) تحديداً، نظراً لسهولة الوصول إلى بيانات مستخدميه مقارنة بالمنصات الأخرى، واستخدموا أدوات مثل "Twitonomy" لتحليل أنماط الاستخدام والتفاعل بين الصحفيين والجهات العامة والخاصة.

4-5- الفصل الخامس: دور النظرية في فهم الصحافة الرقمية:

في هذا الفصل، يناقش المؤلفان الدور المحوري للنظرية، ويؤكدان أن الطبيعة المتعددة التخصصات لدراسات الصحافة الرقمية تتيح للباحثين استخدام عدد كبير من النظريات لاستكشاف وتأطير مشاريعهم البحثية. ويستعرضان ثلاثة مواقف رئيسية لكيفية فهم النظرية في العلوم الاجتماعية: الموقف الأول هو "القياسي"، الذي يتعامل مع النظرية كأساس لاشتقاق الفرضيات واختبارها علمياً. والموقف الثاني هو "الاجتماعي والفلسفي"، الذي يرى النظرية كنتيجة للتحقيقات في كيفية تنظيم العقل البشري للمعرفة. أما الموقف الثالث فهو "التشاركي"، الذي يفهم النظرية كمعرفة متراكمة من الاختبارات الإمبريقية السابقة، ويرى المؤلفان أن ما يميز دراسات الصحافة الرقمية هو أنها غالباً ما تقرر بين المنظورات الاجتماعية والسياسية مع التركيز على الجانب التكنولوجي. ويؤكدان أن أهمية هذه النظريات تكمن في أنها توفر

تفسيرات كلية لكيفية عمل وتطور مؤسسة الصحافة في المجتمعات الرقمية، عبر تحليل كيفية تزامن السلوك الفردي مع الهياكل المؤسسية الكبرى.

4-6- الفصل السادس- المعيارية والافتراضات الضمنية في البحث:

يتناول هذا الفصل قضية "المعيارية" (Normativity) "في دراسات الصحافة الرقمية، ويقصد بها الافتراضات والقيم الضمنية التي يحملها الباحثون حول "ما يجب أن تكون عليه الصحافة"، حيث يرى المؤلفان أنه لا حرج في أن تكون الأبحاث قائمة على هذه الافتراضات، بل هو أمر لا مفر منه، لكن التحدي يكمن في ضرورة أن يكون الباحث واعياً بها وشفافاً بشأنها. ويحددان ثلاث طرق رئيسية تتجلى من خلالها هذه المعيارية في أبحاث الصحافة الرقمية: أولاً، من خلال إدراك الباحثين أن ممارسة الصحافة الرقمية نفسها تتعامل مع معايير محددة مثل الموضوعية والحياد. ثانياً، من خلال وعي الباحثين بالافتراضات المعيارية الكامنة في نظرياتهم وأسئلتهم البحثية. وثالثاً، من خلال الاعتراف بأن المناهج التي يتبعها الباحثون ليست دائماً محايدة، بل قد تحمل تحيزات ضمنية. ولهذا، يؤكد المؤلفان على الحاجة لمزيد من الشفافية المنهجية. ويسلط المؤلفان الضوء على أربعة "معايير" أو قيم سائدة ومؤثرة في أبحاث الصحافة الرقمية اليوم، وهي :

- التشاركية: التي تفترض بأن الصحافة الجيدة هي التي تشرك الجمهور في إنتاج المحتوى.
- إلغاء الطابع المؤسسي: التي ترى بأن الصحافة تتحسن عندما تتحرر من قيود المؤسسات الإعلامية التقليدية.
- الابتكار : التي تفترض بأن تبني التقنيات الجديدة هو دائماً أمر إيجابي للصحافة.
- التنظيم: التي تؤكد بأن الصحافة تحتاج إلى تنظيم لضمان جودتها ومسؤوليتها.

4-7- الفصل السابع- منهجيات البحث في الصحافة الرقمية:

يناقش المؤلفان في هذا الفصل الأساليب المنهجية المتنوعة المستخدمة في أبحاث الصحافة الرقمية، ويستعرضان مجموعة من المناهج المبتكرة التي أتاحتها البيئة الرقمية، مثل الأساليب الرقمية لتعزيز تحليل المحتوى، والأثنوجرافيا الرقمية لتحليل الممارسات داخل وخارج غرف الأخبار، بالإضافة إلى الأساليب المناسبة لتحليل كيفية تفاعل الجماهير مع الأخبار عبر المنصات المختلفة. ويشير المؤلفان إلى أن التكنولوجيا الحديثة وتوافر البيانات الرقمية قد وفرا فرصاً منهجية جديدة وغير مسبوقة للباحثين. ولكنهما في الوقت ذاته، ينبهان إلى أن هذا التوافر قد أدى إلى ظهور تحيزات وتحديات معرفية جديدة، تتعلق بأنواع المعرفة التي يمكن للأرقام أن تنتجها، ويختتم الفصل بالتأكيد على وجود اهتمام أكاديمي متساوٍ بين تطوير "النظرية" و"المنهجية" في الدراسات الإعلامية المعاصرة.

4-8- الفصل الثامن- مستقبل دراسات الصحافة الرقمية:

يختتم المؤلفان الكتاب بتقديم رؤية استشرافية لمستقبل حقل دراسات الصحافة الرقمية. ويشيران إلى أن هذا المستقبل يتشكل بفعل التغيرات العالمية التي تؤثر على الصحافة كظاهرة اجتماعية ومؤسسية. وفي هذا السياق، يوجهان نقداً مهماً مفاده أن الكثير من الأبحاث في هذا المجال تهتمن عليها وجهات النظر والدراسات الغربية "الأمريكية والأوروبية بشكل خاص"، ويدعون إلى ضرورة تحقيق تنوع أكبر في الأصوات البحثية والمقاربات المنهجية. وأخيراً، يؤكدان على ضرورة تحسين عملية "تراكم المعرفة" (Knowledge Accumulation) في الحقل الإعلامي، وذلك من خلال أخذ نتائج البحوث السابقة في الاعتبار بشكل جدي، والبناء عليها لتعزيز المعرفة الجديدة، وتطوير مناهج بحثية ونظرية أكثر شمولية وعمقاً.

5- خامساً- مناقشة الكتاب في ضوء نظريات الاتصال:

إن القراءة المتعمقة لكتاب "ماهي دراسات الصحافة الرقمية؟" تكشف أنه أكثر من مجرد استعراض لحقل معرفي جديد؛ إنه في جوهره حوار نقدي وعميق مع نظريات الاتصال الكلاسيكية والحديثة، ويقدم دليلاً حياً على كيفية تطور هذه النظريات وتكيفها وتحديها في العصر الرقمي. ومن خلال ربط فصول الكتاب بالبنى النظرية للاتصال، يمكننا استخلاص الأبعاد التالية :

ينطلق التحليل من نظرية الحتمية التكنولوجية (Technological Determinism) ، التي أشار إليها المؤلفان في الفصل الأول. فالكتاب لا يتعامل مع المنصات الرقمية كأدوات محايدة، بل كقوى فاعلة أعادت تشكيل بنية المجتمع وهوية الصحافة نفسها. هذا التحول الجذري في بنية السلطة الإعلامية يستدعي بالضرورة استحضار نظرية حارس البوابة (Gatekeeping) ، التي لم تعد تقتصر على المحرر التقليدي، بل تطورت لتشمل "حراس البوابة الخوارزميين" في المنصات الكبرى. ويتجلى البعد الثاني في فهم الجمهور، حيث يمكن قراءة تركيز الكتاب على "التحليلات والمقاييس" وسلوك المستخدمين من منظور نظرية الاستخدامات والإشباع (Uses and Gratifications). وفي سياق المنصات الاجتماعية، تبرز نظريتا الحضور الاجتماعي (Social Presence) ورأس المال الاجتماعي (Social Capital) بوضوح؛ فسعي الصحفيين والجمهور لتطوير وجودهم الرقمي ليس مجرد تفاعل، بل هو بناء لرأس مال رمزي. أما على المستوى المجتمعي الأوسع، فإن الكتاب بأكمله يمثل دراسة حالة معاصرة للنظرية البنائية لوسائل الإعلام (Constructivist Theory) ؛ فالنقاش حول "الأخبار المزيفة" والتضليل الإعلامي ودور الخوارزميات، هو في جوهره نقاش حول كيف تساهم وسائل الإعلام الرقمية في بناء "الواقع الاجتماعي". وأخيراً، فإن دعوة المؤلفين إلى تجاوز هيمنة وجهات النظر الغربية في البحث الإعلامي، هي دعوة تتقاطع مع

النقد الموجه لمركزية النظريات الإعلامية التقليدية، وتفتح الباب أمام بناء نظريات أكثر شمولية وتنوعاً تتناسب مع واقعنا العالمي شديد الترابط.

وختاماً، يمكن القول إن كتاب "ماهي دراسات الصحافة الرقمية؟" ينجح في تحقيق هدفه الطموح، فهو لا يقدم فقط استعراضاً للمفاهيم والتقنيات والنظريات، بل يقدم إطاراً فكرياً للباحثين يساعدهم على الإبحار في تعقيدات هذا الحقل المعرفي الجديد. وتكمن قيمته الحقيقية في أنه يزود الباحثين ليس بالإجابات، بل بالأسئلة الصحيحة والعميقة التي يجب طرحها، مما يجعله عملاً تأسيسياً ومرجعاً لا غنى عنه لكل من يسعى لفهم حاضر ومستقبل الصحافة في العصر الرقمي.